

ما الدليل على عصمة الانبياء مع ان الله هو الوحيد فى العصمة؟

السائل: ناصر

توضيح السؤال:

العصمة كالاصلحات العلمية الجديدة و المتداولة فى زماننا هذا لها معاني مختلفة. و كل شخص حسب سليقته يتخذ من معانيها اقلها او اكثرها.

لو قررنا معنى العصمة « يعني من دون أى خطأ » فنتقرب الى ذات الله لأن الله هو الوحيد من أى خطأ و لم يخطأ . «الله لا اله الا هو لا تاخذه سنه ولا نوم» . هل الانبياء لم يناموا؟ لم يغضبوا؟
فالعصمة فى تعريفنا نحن الشيعة من نوع التعريف المذكور و هذا غير ممكن و غير مقبول.

الإجابة :

من عقائد الشيعة الحقة ان الانبياء كلهم و الائمة عند الشيعة عليهم السلام لهم عصمة مطلقة؛ يعني فى تمام عمرهم لم يرتكبوا أى ذنب، خطأ و سهو.

المرحوم الشيخ الطوسي رحمة الله عليه يقول هكذا:

نبينا محمد (ص) معصوم من أول عمره إلي آخره، في أقواله وأفعاله وتروكه، عن الخطأ والسهو والنسيان،
بدليل أنه لو فعل المعصية لسقط محلّه من القلوب، ولو جاز عليه السهو لارتفع الوثوق من إخباراته، فتبطل فائدة
البعثة وهو محال .

الشيخ الطوسي، الرسائل العشر: ص ٩٧، مؤسسة النشر الإسلامي ج قم .

لاثبات هذا المطلب توجد دلائل عديدة فنتعرض لها على سبيل الاختصار و نشير اليها:

عصمة الانبياء:

١ . الانبياء من المخلصين و ليس للشيطان عليهم من طريق:

الله تعالى يقول فى ابراهيم، اسحاق و يعقوب هكذا:

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرِي الدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الأَخْيَارِ . ص / ٤٦ و ٤٧

يقول فى نبي يوسف عليه السلام هكذا:

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَأَنْ رَّعَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَ الفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ

. يوسف / ٢٤

و يقول فى نبي موسى عليه السلام هكذا :

وَأَذْكُرُ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا . مريم / ٥١

و ما تشبه هذه الآيات يذكرها فى انبياء اخر.

و يقول فى سورة ص آية ٨٢ و ٨٣ عن لسان الشيطان هكذا:

فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ .

عندما نضع هذين الصنفين من الآيات واحدا جنب الآخر، ننتج ان الشيطان لم يتطرق الى عباد الله

المخلصين و الانبياء عليهم السلام حسب الآيات الصريحة من عباد الله المخلصين.

٢ . اطاعة من غير قيد و شرط هى الشاهد على عصمتهم

عندنا آيات عديدة تلزمننا لإطاعة الانبياء بصورة مطلقة على الكل. مثلاً فى سورة النساء، آية ٦٤ تقول:

وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ الله .

أو في سورة النساء آية ٨٠ تقول:

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ .

سورة النساء آية ٥٩ تقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ .

الله تعالى أوجب في هذه الآيات اطاعة الرسول الأكرم بصورة مطلقة؛ يعني كل امر منهم في أى مجال، لا بد ان يطاع.

لو لم يكن «النبي» معصوما من الممكن ان يأمر عمداً أو سهواً بأمر يخالف أمر الله، و عصيان أمر « النبي »، و هذا يخالف صريح الآية؛ لأنه في هذه الآية، أوجب طاعة النبي و اولي الأمر بصورة مطلقة. و لو اطاع أمر النبي ص، لعصى أمره.

و حل هذا التناقض لا يمكن الا بفرض ان « النبي و اولي الأمر » معصومون من الذنب و الخطأ.

فخر الرازي المفسر المعروف عند اهل السنة يفهم من هذه الآية العصمة ايضا. هو يقول في ذيل هذه الآية هكذا:

ثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر علي سبيل الجزم ، و ثبت أن كل من أمر الله بطاعته علي سبيل الجزم و جب أن يكون معصوما عن الخطأ ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوما.

تفسير الرازي، الرازي، ج ١٠، ص ١٤٤.

لن تنال الإمامة الظالمين

حسب آية ١٢٤ من سورة البقرة يقول:

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظَّالِمِينَ . البقره / ١٢٤

هذه الآية من الآيات التي تبين ان مقام الإمامة مقام الهي، و انه افضل من مقام النبوة و كذلك عصمة الامام؛ لأن نبي ابراهيم عليه السلام مع انه نبي ص، عند ما يصل الى مقام الامامة و رأى عظمة هذا المقام، فطلبه من الله لذريته و بنيه ايضا؛ لكن اجابه الله بصورة مطلقة هكذا :

لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ

كما انكم تعلمون، من الظلم، الظلم على النفس و الذنب أتم مصداق للظلم بالنفس؛ لأن الله تعالى يقول:

وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ . الطلاق / ١

اقل مرتبة الذنب، هو الظلم على النفس؛ يعني لو اذنب شخص فى تمام عمره مرة واحدة، هو مصداق للظالم. و العهد الالهي الذى هو الامامة لم يصل الى الظالم؛ من هذا المنطلق لابد ان يكون النبي و الامام معصوما. كثير من المفسرين و علماء اهل السنة اعترفوا ان المراد من « عهدي » هو مقام الامامة؛ من جملتهم فخر الرازي فى تفسيره يقول:

(لَا يَنَالُ عَهْدِي) جواباً لقوله (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) وقوله (وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) طلب للإمامة التي ذكرها الله تعالى فوجب

أن يكون المراد بهذا العهد هو الإمامة ليكون الجواب مطابقاً للسؤال .

تفسير الرازي ، ج٤ ، ص٤٦ .

و البيضاوي من المفسرين عند اهل السنة يقول فى تفسير « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » هكذا:

إجابة إلي ملتسمه وتنبيهه علي انه قد يكون من ذريته ظلمه وأنهم لا ينالون الإمامة لأنها أمانة من الله تعالى

وعهداً والظالم لا يصلح لها .

تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ٣٩٧ ، ط دار الفكر بيروت .

و ابن كثير الدمشقي السلفي ايضا يقول فى تفسير هذه الآية هكذا:

لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ يقول تعالى منبهاً علي شرف إبراهيم خليله (عليه السلام) وان الله جعله إماماً للناس .

تفسير ابن كثير ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

و الطبري يقول فى تفسير جامع البيان عند تفسير « لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » هكذا:

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: لا ينال عهدي الظالمين قال: لا يكون إماماً ظالماً .

جامع البيان ، ج ٢ ، ص ٧٣٨ ، ط دار الفكر .

و روايات عديدة وردت عن طريق اهل السنة بهذه المضامين : « لا يكون إماماً ظالماً » و « لا اجعل إماماً ظالماً يقتدي به ».

رك : صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٢١٥ ، كتاب الأحكام و صحيح مسلم ، ج ٦ ، ص ٨ ، باب فضيلة الإمام

العدل و باب خيار الأئمة وأشراهم و جامع البيان ، طبري ج ١ ص ٧٣٨ و الدر المنثور ، السيوطي ، ج ١ ص ١١٨ .

من جانب آخر توجد آيات أخر في الانبياء عليهم السلام تقول:

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا . الأنبياء / ٧٣

يقولها الله تعالى فى نبي إبراهيم، فى نبي لوط ، فى اسحاق و يعقوب ثم يقول:

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ . وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا .

الأنبياء / ٧٢ و ٧٣

و يقول فى نبى موسى و الانبياء من بعده هكذا :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ

بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ . السجده / ٢٣ و ٢٤

و يقول فى موضع آخر هكذا:

لَا يَتَّالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ .

من مجموع هذه الآيات نستفيد ان:

الانبياء عليهم السلام و لا لحظة من عمرهم الشريف يتلبسون بالظلم و الذنب. لا يخطئون و لا ينسون.

عصمة النبى الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم

طاعة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم من دون قيد و شرط

شخصية النبى صلى الله عليه وآله وسلم ايضا مما نزلت فيه آيات عديدة التى تثبت عصمته المطلقة؛ كالأيات التى

تثبت طاعة النبى فى صف طاعة الله؛ مثل :

وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا . الحشر / ٧

كلمات النبى كلها تنشئ من الوحي

و أصرح آية فى عصمة النبى الاكرم اسلام صلى الله عليه وآله وسلم الآية الثانية الى الرابعة من سورة

النجم التى تقول :

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى .

كلمة « ضل » لها معانى عديدة من جملتها : الاضلال، الغفلة و النسيان. و حسب ان كلمة « ما ضل » نكرة فى سياق النفي فتفيد العموم، فتتنى تمام مصاديق « ضل » حتى الغفلة و النسيان عن النبي الأكرم ص.

الصابوني صاحب كتاب صفوة التفاسير يقول فى ج ٣ ، ص ٢٣٥ هكذا:

لا يتكلم الا عن وحي من الله عزوجل

القرطبي الذى من الشخصيات العظيمة و الشهيرة عند اهل السنة و له عند الاحناف منزلة عليّة، يقول فى

هذه الآية هكذا:

وفيهما أيضا دلالة علي أن السنة كالوحي المنزل في العمل .

تفسير القرطبي ، القرطبي ، ج ١٧ ، ص ٨٥ .

ابن حجر العسقلاني الذى هو من اساطين العلم عند اهل السنة، يقول فى حديث : «هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا» الذى قاله النبي ص فى آخر لحظات عمره الشريف، و قال بعض الحاضرين (نستجير بالله): «ان الرجل ليهجر » و الخليفة الثانى قال : «قد غلبه الوجع » فيقول:

لأنه معصوم فى صحته ومرضه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ولقوله صلى الله عليه وسلم إني لا أقول فى الغضب والرضا إلا حقا .

فتح الباري ، ابن حجر ، ج ٨ ، ص ١٠١ .

العيني يقول فى هذه الرواية«قد غلبه الوجع » أو«ان الرجل ليهجر » التى هى اعلى جسارة الى ساحة النبي الأكرم ص:

قلت نسبة مثل هذا إلي النبي لا يجوز لأن وقوع مثل هذا الفعل عنه مستحيل لأنه معصوم فى كل حالة فى

صحته ومرضه لقوله تعالى * (وما ينطق عن الهوى) * ولقوله " إني لا أقول فى الغضب والرضا إلا حقا " .

عمدة القاري ، العيني ، ج ١٨ ، ص ٦٢ .

و فى موضع آخر يقول:

ولم يكن ، يقول فى الغضب والرضا إلاحقا ، قال الله تعالى : * (وما ينطق عن الهوى) .

عمدة القاري ، العيني ، ج ٢٤ ، ص ٨١ .

النبى اسوة المسلمين

و الله تعالى ايضا يقول فى آية ٢١ من سورة الاحزاب:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .

الله تعالى يصرح فى هذه الآية ان النبى ص اسوة للناس كلهم. الاسوة يثبت حينما يكون النبى معصوما من الخطأ و السهو. لو نسمح للنبى ص بالنسيان، الغفلة، السهو، الجهل أو مخالفة الامر الالهى، فهو مطلب خلاف امر الله، فيؤدى الى ان النبى الذى هو اسوة للهداية، يبدل الى اسوة فى الضلالة.

السنة القطعية و المتفقة بين الطرفين :

الروايات العديدة وردت عن طريق الشيعة و السنة التى تثبت عصمة النبى ص؛ من جملتهم:

١. عن عبد الله ابن عمرو ، قال : كنت أكتب كل شئ أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أتكتب كل شئ تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوماً بأصبعه إلي فيه ، فقال : (اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلاحق) .

مسند احمد ، الإمام احمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص ١٩٢ و سنن أبي داود ، ابن الأشعث السجستاني ، ج ٢ ،

ص ١٧٦ و سنن الدارمي ، عبد الله بن بهرام الدارمي ، ج ١ ، ص ١٢٥ و تحفة الأحوذى ، المباركفوري ، ج ٧ ، ص

٣٥٧ و تفسير ابن كثير ، ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٢٦٤ و وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي ، ج ١ ، ص مقدمة التحقيق ٧ و تذكرة الفقهاء (ط.ج) ، العلامة الحلي ، ج ١ ، ص مقدمة التحقيق ١٤ .

الحاكم النيسابوري بعد نقل هذا الحديث يقول:

هذا حديث صحيح الاسناد أصل في نسخ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يخرجاه .

المستدرک ، الحاكم النيسابوري ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

الذهبي ايضا في حاشية المستدرک يصحح هذا الحديث. الالباني الذي هو مفكر الوهابية و حسب تعبير بن باز امام الحديث، فيذكر هذه الرواية في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٤، ص٤٥، طبع مكتبة المعارف، رياض السعودية. و يقول ان الرواية صحيحة.

٢. عن جده عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قلت يا رسول الله اني أسمع منك أشياء أفأكتبها قال نعم قلت في الغضب والرضا قال نعم فاني لا أقول فيهما الا حقا .

مسند احمد ، الإمام احمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص ٢١٥ المعجم الأوسط ، الطبراني ، ج ٢ ، ص ١٥٣ الحد الفاصل ، الرامهرمزي ، ص ٣٦٤ .

٣. عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إنني لا أقول الا حقا قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا يا رسول الله فقال إنني لا أقول الا حقا .

مسند احمد ، الإمام احمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص ٣٤٠ و سبل السلام ، محمد بن اسماعيل الكحلاني ، ج ٤ ، ص ١٩٦ و سنن الترمذي ، الترمذي ، ج ٣ ، ص ٢٤١ و السنن الكبرى ، البيهقي ، ج ١٠ ، ص ٢٤٨ و مجمع الزوائد ، الهيثمي ، ج ٩ ، ص ١٧ و فتح الباري ، ابن حجر ، ج ١٠ ، ص ٤٣٦ و عمدة القاري ، العيني ، ج ٢٢ ، ص ١٦٩ و تحفة الأحوذني ، المباركفوري ، ج ٦ ، ص ١٠٨ و الأدب المفرد ، البخاري ، ص ٦٦ و الشمائل المحمدية ، الترمذي ،

ص ١٣٠ و المعجم الأوسط ، الطبراني ، ج ٨ ، ص ٣٠٥ و معرفة السنن والآثار ، البيهقي ، ج ٧ ، ص ٤٤٧ و الأذكار النووية ، يحيى بن شرف النووي ، ص ٣٢٦ و تفسير ابن كثير ، ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٢٦٥ و الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي ، ج ٦ ، ص ١٢٢ و تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر ، ج ٤ ، ص ٣٥ - ٣٦ و البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٦ ، ص ٥٤ و إمتاع الأسماع ، المقرئ ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ و

يعني حتى المزاح و الهزل من النبي الأكرم ص لابد ان يكون اسوة لكل ايضا.

الترمذي عند نقل هذا الحديث يقول:

هذا حديث حسن .

الهيثمى ايضا ينقله فى مجمع الزوائد و يقول:

اسناده حسن .

٤. إن عيني تنامان ولا ينام قلبي .

صحيح البخاري ، البخاري ، ج ٢ ، ص ٤٨ و ج ٢ ، ص ٢٥٣ و ج ٤ ، ص ١٦٨ و صحيح مسلم ، مسلم ،

النيسابوري ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

٥ . إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا .

ابن سعد، الطبقات الكبرى ج:١، ص٨٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

الالباني من اكابر الوهابية الذى يسموه البخاري فى هذا الزمان، يذكر هذه الرواية فى سلسلة الروايات

الصحيحة.

الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ج:٤، ص٢٨١، ح١٧٠٥- مكتبة المعارف - الرياض

٦ . إني لست كأحدكم ، إنه تنام عيناى ولا ينام قلبى .

أبو بكر الرازى الجصاص، أحكام القرآن ج ٢ : ص ٤١٧-٤١٨، ط١- دار الكتب العلمية - بيروت.

المناوى من المفسرين عند اهل السنة فى التعلقه على هذه الروايات يقول:

بل هي [القلوب] دائمة اليقظة لا يعتريها غفلة ولا يتطرق إليها شائبة نوم لمنعه من إشراق الأنوار الإلهية

الموجبة لفيض المطالب السنية عليها ؛ ولذا كانت رؤياهم وحيًا .

فيض القدير ، المناوى، ج ٢ : ص ٥٥١، ط١- المكتبة التجارية الكبرى - مصر.

رأى علماء اهل السنة :

القسطلانى من الشارحين لصحيح البخارى يقول:

وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر فى المسير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم مطلقا و

جمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعى وأبى حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم .

المواهب اللدنية ، ج ٩ ، ص ٤_ ٨ .

فى موضع آخر يقول :

أنه معصوم من الذنوب كبيرها و صغيرها وعمدها وسهوها وكذلك الأنبياء

همان ، ج ٧ ، ص ٣٢٧ .

و العلامة الزرقانى من كبار اهل السنة يقول:

انه معصوم من الذنوب بعد النبوة وقبلها صغيرها وكبيرها ، عمدها وسهوها على الأصح فى ظاهره وباطنه .

ثم يقول :

وقال السبكي اجمعت الأمة علي عصمة الأنبياء في ما يتعلق بالتبليغ و غيره من الكبائر والصغائر الخطة
والمداومة علي الصغائر ففي صغائر لا تحط من رتبتهم خلاف .

نفسه .

كتاب الشرح الميسر علي الفقهين في ص ٣٩ يصرح ان النبي الأكرم صلي الله عليه و آله و سلم يؤمن من
الذنب و السهو و له العصمة.

المقريزي في كتاب امتاع الأسماع يذكر نفس هذا المطلب. قاضي عياض في كتاب الشفاء في تعريف
حقوق المصطفى ج ٢، ص ١٩٣ طبعة دار الأرقم بيروت، يذكر نفس هذا التعبير.

القرطبي في كتاب تفسيره، ج ١، ص ٣٤٩ يقول:

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي : إنهم معصومون من الصغائر كلها
كعصمتهم من الكبائر أجمعها ، لأننا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا مطلقا من غير التزام قرينة ،
فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم .

تفسير القرطبي ، القرطبي ، ج ١ ، ص ٣٠٨ .

في النتيجة النبي الأكرم و تمام الأنبياء و الائمة عليهم السلام معصومون من الخطأ و النسيان و السهو.

و من الله التوفيق

فريق الإجابة عن الشبهات

مؤسسة الإمام ولي العصر (عج) للدراسات العلمية